حُضُورُ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَاحَةً لِأَفْئِدَةِ الْعَابِدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. **أَمَّا بَعْدُ:** فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿**وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[1]. **أَيُّهَا الْمُصَلُّونَ:** مَا مِنَّا إِلَّا وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ فِي بَعْضِ صَلَوَاتِهِ لَحْظَةُ صَفَاءٍ، انْقَطَعَ فِيهَا عَنِ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا، وَاتَّصَلَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَاسْتَشْعَرَ عَظَمَتَهُ، فَانْتَابَتْهُ لَذَّةٌ غَمَرَتْ رُوحَهُ، وَسَكِينَةٌ عَمَرَتْ فُؤَادَهُ، وَطُمَأْنِينَةٌ مَلَكَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانَهُ، فَوَدَّ أَنْ تَدُومَ وَلَا تَنْقَضِيَ، أَتَدْرُونَ مَا السِّرُّ وَرَاءَ ذَلِكَ **يَا عِبَادَ اللَّهِ**؟ إِنَّهُ حُضُورُ الْقَلْبِ، وَاسْتِشْعَارُ الْقُرْبِ، وَهَذَا هُوَ مَوْضُوعُ خُطْبَتِنَا الْيَوْمَ، فَتَعَالَوْا بِنَا نَرْتَقِ بِصَلَاتِنَا، لِتَكُونَ لَنَا كَمَا كَانَتْ لِنَبِيِّنَا ﷺ، إِذْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيهَا[2]، وَرَاحَةُ قَلْبِهِ بِهَا، فَكَانَ يَقُولُ لِمُؤَذِّنِهِ: «**أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**»[3]، لِتَتَحَوَّلَ صَلَاتُنَا مِنْ مُجَرَّدِ حَرَكَاتٍ بَدَنِيَّةٍ، إِلَى رِحْلَةٍ قَلْبِيَّةٍ، فَأَفْعَالُ الصَّلَاةِ وَأَقْوَالُهَا، تَزِيدُ أَجْرًا بِحُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا، بِذَلِكَ نَعِيشُ لَذَّةَ الصَّلَاةِ، وَنَتَذَوَّقُ فِيهَا حَلَاوَةَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَيَا مَنْ تَتُوقُ إِلَى صَلَاةٍ تَمْلَأُ

قَلْبَكَ نُورًا، إِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ نِدَاءٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكَ، فَكُنْ لَهُ مُلَبِّيًا، وَلِأَلْفَاظِهِ مُرَدِّدًا، وَفِي مَعَانِيهِ مُتَأَمِّلًا: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»، اسْتَشْعِرْ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَاقْطَعْ صِلَتَكَ بِالْخَلْقِ، وَبَادِرْ إِلَى الْخَالِقِ، الَّذِي نَادَاكَ: «**حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ... حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ**» كَذَلِكَ كَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ إِذَا: «**سَمِعَ الْأَذَانَ، وَثَبَ**»[٤]، أَيْ نَهَضَ سَرِيعًا لِيَتَوَضَّأَ[٥]، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَنْ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِاللَّهِ، يُبَادِرُ إِلَى وُضُوئِهِ لِلصَّلَاةِ، مُسْتَشْعِرًا أَنَّهُ يَغْسِلُ ذُنُوبَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»[٦]. فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ وُضُوئِكَ؛ فَهَيِّءْ قَلْبَكَ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ، قَائِلًا: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ**»، فَإِنَّ مَنْ قَالَهَا: «**فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[٧]. فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ لِقَاءٍ، تَسْتَعِدُّ لَهُ بِالْوُضُوءِ وَالذِّكْرِ، وَالطِّيبِ وَالتَّطَيُّبِ، وَلُبْسِ أَحْسَنِ الثِّيَابِ، طَائِعًا لِأَمْرِ اللَّهِ: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[٨]، مُحَاذِرًا أَنْ تُؤْذِيَ غَيْرَكَ بِرَائِحَتِكَ، «**فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**»[٩]. فَجَدِيرٌ بِكَ أَنْ تُدْرِكَ عَظَمَةَ هَذَا اللِّقَاءِ، كَمَا كَانَ حَالُ الصَّالِحِينَ وَالْأَتْقِيَاءِ، فَهَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ تَغَيَّرَ حَالُهُ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: "أَلَا تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ أَقُومُ؟ وَمَنْ

أُنَاجِي؟". نَعَمْ، إِنَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ تُنَاجِي فِي صَلَاتِكَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾[١٠]، فَأَيْنَ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ، وَالْعُقُولِ السَّاهِيَةِ؟ أَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ**»[١١]. أَلَا يَسْتَشْعِرُ أُولَئِكَ عَظَمَةَ اللَّهِ؟ أَلَا يَسْتَحْضِرُونَ أَنَّهُمْ يُنَاجُونَ اللَّهَ؟ أَلَمْ يَأْتِهِمْ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى يُنَاجِي رَبَّهُ**»[١٢].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِمَّا يُعِينُ الْمُؤْمِنَ عَلَى حُضُورِ قَلْبِهِ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا مُتَأَنِّيًا، وَعَلَيْهِ «**السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ**»[١٣]، فَإِذَا دَخَلَ فِي صَلَاتِهِ، وَبَدَأَ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، فَلْيَسْتَحْضِرْ سَمَاعَ اللَّهِ لَهُ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ «﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[١٤]، فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ، وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ أَجْمَعِينَ، وَطَاعَةِ مَنْ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِ فِي قَوْلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[١٥].

أَقُولُ قَوْلِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِذَا كَبَّرْتُمْ لِلرُّكُوعِ فَعَظِّمُوا رَبَّكُمْ، وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ خَالِقِكُمْ، قَائِلِينَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»(١٦). اسْتِجَابَةً لِقَوْلِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: «**أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ**»(١٧). فَإِذَا رَفَعْتُمْ مِنْ رُكُوعِكُمْ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، قَائِلِينَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»(١٨)، فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَسْمَعُ حَمْدَكُمْ، وَيَتَقَبَّلُ ثَنَاءَكُمْ، وَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَكُمْ(١٩)، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«**إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢٠). فَإِذَا بَلَغْتُمُ الرُّكْنَ الْأَعْظَمَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَخَضَعْتُمْ سُجَّدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَأَيْقِنُوا أَنَّكُمْ فِي أَشْرَفِ مَقَامٍ: مَقَامٍ تَخْلُوْنَ فِيهِ بِرَبِّكُمْ، وَتَقْتَرِبُونَ مِنْ خَالِقِكُمْ، مُسْتَسْلِمِينَ لِعَظَمَتِهِ، مُتَوَاضِعِينَ لِجَلَالِ وَجْهِهِ، مُرَدِّدِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»(٢١)، فَاسْتَثْمِرُوا **أَيُّهَا السَّاجِدُونَ** لَحْظَةَ الْقُرْبِ مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، بِالدُّعَاءِ وَصِدْقِ الرَّجَاءِ، فَإِنَّ رَبَّنَا تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾(٢٢)، وَنَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(٢٣). وَفِي

خِتَامِ صَلَاتِكُمْ، تَوَجَّهُوا بِالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَاتِ الزَّاكِيَاتِ إِلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاشْمَلُوا عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ بِسَلَامِكُمْ. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَ أَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ**»(٢٤).

هَذَا وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِكَ مُؤْمِنِينَ، وَلَكَ عَابِدِينَ، وَإِلَيْكَ مُنِيبِينَ، وَفِي صَلَاتِنَا خَاشِعِينَ، وَلَهَا مُقِيمِينَ، وَعَلَيْهَا مُحَافِظِينَ، وَبِالْجَنَّةِ فَائِزِينَ، وَبِوَالِدِينَا بَارِّينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. **اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الِاسْتِقْرَارَ، وَالرُّقِيَّ وَالِازْدِهَارَ، وَ أَتِمَّ اللَّهُمَّ الْعَافِيَةَ عَلَيْنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَرْزَاقِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا. اللَّهُمَّ وَفِّقْ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ، الشَّيْخَ مُحَمَّد بن زَايد، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشَّيخ زَايد، وَالشَّيخ رَاشِد، وَالْقَادَةَ الْمُؤَسِّسِينَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَاشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ.**

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ. **اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا.**

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢٥).

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

---

(١) الأنعام: ٧٢.
(٢) أحمد: ١٢٢٩٣.
(٣) أبو داود: ٤٩٨٥.
(٤) أحمد: ٢٥٤٣٥.
(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٥٣٢/٥.
(٦) مسلم: ٢٤٥.
(٧) مسلم: ٢٣٤.
(٨) الأعراف: ٣١.
(٩) مسلم: ٥٦٤.
(١٠) الشعراء: ٢١٨-٢١٩.
(١١) أبو داود: ٧٩٦.
(١٢) البخاري: ٥٠٨.
(١٣) مسلم: ٦٠٢.
(١٤) مسلم: ٣٩٥،
(١٥) النساء: ٥٩.
(١٦) مسلم: ٧٧٢.
(١٧) مسلم: ٤٧٩.
(١٨) مسلم: ٤٧١.
(١٩) فتح الباري لابن رجب: ٧٤/٥، وشرح النووي على مسلم: ١٩٣/٤.
(٢٠) متفق عليه.
(٢١) مسلم: ٧٧٢.
(٢٢) العلق: ١٩.
(٢٣) مسلم: ٤٨٢.
(٢٤) أبو داود: ٨٦٤، والترمذي: ٤١٣.
(٢٥) البقرة: ٢٠١.